JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ
العدد الثاني والأربعون
(٩١) -(١٠٦)

ظاهرة العبث في شعر ابن الرومي(٢٨٣هـ)

م.د ذياب سرحان سعلو الرفيعي

جامعة واسط/ كلية الآداب

Dheyab115@uowasit.edu.iq

المستخلص:

يعدّ هذا البحث (ظاهرة العبثيّة في شعر ابن الرومي)، محاولة للإحاطة بمفهوم العبث من أجل معرفة ماهيته، وتبيان الكيفية التي يظهر فيها ضمن الأجناس الأدبية المختلفة، فضلاً عن محاولة تناوله على مستوى التطبيق في شعر ابن الرومي، بوصف الشعر شكلاً من أشكال الوعي، وطريقة من الطرائق التي تمكننا من رؤية الواقع الإنساني إلى جانب عملية الإبداع المتسمة بالفلسفة، التي تعد إحدى وسائل التعبير عن الذات الإنسانية، ومن هنا فقد نالت الفلسفة العبثية اهتمام كثير من الشعراء الذين وظفوها في شعرهم نتيجة الفراغ الروحي الذي شعروا به وسيطر عليهم، فوظّفوا هذه الفلسفة لتأكيد الصراع بين ميول الإنسان وهدفه في الحياة، وعدم المقدرة على تحقيقه، وجمعوا بين ما هو سخري وما هو مأساوي.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة ، العبثية، شعر ، ابن الرّومي.

The phenomenon of absurdity in Ibn al-Rumi's poetry(283H)

Dheyab sarhan sallo Al-rufaye

Wasit Univerrssity-College Of Arts

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

Abstract

This research (The phenomenon of absurdity in Ibn al-Rumi's poetry) is an attempt to understand the concept of the absurd in order to know what it is, and to show how it appears within different literary genres, as well as an attempt to address it at the level of application in Ibn al-Rumi's poetry, by describing poetry as a form of Consciousness, one of the ways that enables us to see human reality, in addition to the process of creativity characterized by philosophy, which is one of the means of expressing the human self. Hence, absurd philosophy gained the attention of many poets who used it in their poetry as a result of the spiritual emptiness that they felt and that dominated them. They used this philosophy to emphasize the conflict between man's inclinations and his goal in life, and the inability to achieve it, and they combined what is ironic and what is tragic.

Keywords: the phenomenon , absurdity, Ibn al-Rumi's, poetry.

مقدمة:

إنّ ظاهرة العبث تمثّل اتجاهاً جديداً في دراسة الأدب العربي عامة، والشعر خاصة، التي من النادر أن نجدها متجسدة في أعمال أدبية، بوصفها صراعاً داخلياً بين ما يريد الفنان وما هو موجود، الأمر الذي يجعل من الحياة مجرد لهوٍ وتمرد، أو لا فائدة منها، ولا جدوى لها، ولا معنى للخوض فيها، ومن هنا يتشكل القلق الوجودي، ليبدأ الإنسان رحلته في البحث عن معنى الوجود.

فالعبثيّة هي خطاب أو فكرة ما بعد حداثي، بلا معنى، أي تخرج من كونها خاضعة لمعايير تقليدية أو معقولة، فيمكن وصفها بأنها إدراك من دونٍ فهمٍ للسبب أو النتيجة، فهي صراع يقوم بين العالم اللاعقلاني وبين رغبة الإنسان ذات الصفة المضطربة.

أهمية البحث وهدفه:

يهدف البحث إلى بيان تمظهرات العبثية في شعر ابن الرومي، الذي عمل على تلخيص الوجود الإنساني في صورة لحنٍ وجودي، وتكمن أهمية البحث في أنه محاولة جادة للبحث في ظاهرة العبثية على مستوى التنظير والتطبيق.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

إشكاليّة البحث:

إنّ الإشكاليّة التي يقوم عليها البحث تعمد إلى التساؤل حول سبب توجّه الشّاعر إلى العبثيّة في استعراض معانيه، وتطرح مجموعة من الأسئلة:

- ما هي العبثية في معناها العام وكيف نشأت؟
- ما أسباب العبثية في شعر ابن الرومي؟
- كيف تجلت العبثية في شعر ابن الرّومي؟

فرضيّات البحث:

ينطلق البحث من الفرضيّة التي تقول بإنّ العبث هو نتيجة شعور ذات الشّاعر بالاغتراب في واقعه وفي مجتمعه ويطرح البحث مجموعة من الفرضيّات منها:

- تقوم العبثيّة على فكرة عدم وجود معنى في الحياة التي يعيشها الفرد
- يشكل الشّعور بالغربة والضياع أحد أهمّ أشكال العبثية في شعر الرومي
- تجلت العبثيّة من خلال الصّور التي وظفها الشّاعر واعتمد عليها في إظهار مكنوناته

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، القائم على الوصف، والتحليل، والتفسير للوصول إلى الدلالة المطلوبة

مجلة العلوم الاساسية
للدراسات التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

المبحث الأوّل: مفهوم العبثية ونشأتها :

أولاً: تعريف العبثية:

-العبثية لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور "عبث: عبِث به عبَثاً: لعبَ، فهو عابث: أي لاعبٌ بما لا يعنيه، وليس من باله، والعبثُ: أن تعبثَ بالشيء، والعبْثة: المرّة الواحدة، ورجلٌ عبيث: عابِث، والعبثُ: اللعب، قال تعالى: {أفحسبتم أنّما خلقناكم عبَثاً؟} (سورة المؤمنون:١١٥)، وعبثَ في منامهِ:

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

أي حرّكَ يديه كالآخذِ أو الدافع"(ابن منظور،١٤١٤هـ، ١٦٦)، وجاء في القاموس المحيط: "عبِثَ: لعبَ، واتّخذ العبثيّة، وهي أقِطٌ معالَج، أو طعامٌ يُطبخُ وفيه جراد، وعبثيّة الناس: أخلاطهم" (الفيروز ابادي،٢٠٠٥م:١٧٢). "وعبثَ عبَثاً، اتخذ عبثيّة، والشيء بالشيء خلطه، ولعبَ وعملَ ما لا فائدة فيه، كما يُقال عبث به الدهر تقلّب فهو عبيث وعابث"(الفراهيدي،د.ت:١١١). أما في معجم اللغة العربية المعاصرة: "عبثَ يعبَثُ عبَثاً فهو عابث ومعبوثٌ به، وعبث الشخصُ: لعبَ وهزل، تكلّم وأضاع وقته فيما لا فائدة فيه، وتصرّف بطريقةٍ مُضحكةٍ أو بطيش، وعبثَ بالدين وغيره: استخفّ به، وعبث به الدهر: انقلب عليه"(أحمد مختار،٢٠٠٨: ٤٤٨) .

وبناء على ما سبق يمكننا القول إنّ كل المعاني السابقة وإن تعددت مصادرها تصبّ في إناء واحد هو اللعب، وإضاعة الوقت في شيء لا فائدة منه، أو شيء قائم على اللامبالاة والسخرية.

- العبثية اصطلاحاً:

إنّ معنى العبث يتغيّر في معناه الاصطلاحي عن معناه اللغوي، فيقدّم لنا المعجم الفلسفي تعريفاً للعبثية على أنها "مدرسةٌ أدبيّة فكرية، تدّعي أنّ الإنسانَ ضائعٌ لم يعد لسلوكه معنى في الحياة المعاصرة، ولم يعد مضمونٌ لأفكاره، وإنما هو ينجز أفكاره لأنه فقدَ القدرة على رؤية الأشياء بحجمها الطبيعي نتيجة للرغبة في سيطرة الآلة على الحياة"(حسيبة،٢٠٠٩: ٣٠٨)، وعليه فقد أصبح الإنسان يشعرُ أنّ وجوده أو عدمه بالسويّة نفسها، فيجدُ نفسه بعد أن اختلّ التوازن في الحياة، وتمّ استبداله بالآلةِ لا ينتمي إلى بيئته التي يعرفها، بل يجدُ نفسه لا يستطيع التصرف بوصفه إنساناً طبيعياً، وأنه مرمي ومستَبعَدٌ عن الحياة، ليتمّ بعدها التصادم مع الواقع فتصير حياته قائمة على اللامبالاة واللا جدوى، فالعبثيّة "لا تقيّد نفسها بكثيرٍ من القيم الإنسانية، ولا ترى أنّ هناك أي مضمونٍ حقيقي وراء السلوك الإنساني، الذي تحلّل في المجتمع الغربي بسبب سيطرة الآلةِ على مسارات الحياة، حتى أنها جعلت الإنسان ترساً في هذه الآلةِ الضخمة" (حسيبة،٢٠٠٩: ٣٠٨)، ونتيجة لهذا التغيير القائم على كسر القواعد المتعارف عليها يشرعُ الفراغُ الروحي بالتسلل إلى النفس الإنسانية، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى الضياع والملل.

أما في المعجم الفلسفي لجميل صليبا فيقول: "إذا فعل المرء فعلاً لا يترتب عليه فائدة، أو ليس له فيه غرضٌ صحيح قيل إنه يفعلُ ذلك عبثاً، فالعبث هو الباطلُ الذي لا أساس له، ولا نتيجة،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

ولا نفع فيه" (جميل صليبيا،١٩٨٢: ٥٢)، بمعنى أنّ الإنسان عند فعلهِ لشيءٍ لا يجيء من ورائه أي منفعة نقول إنّ هذا العمل عبثي ولا فائدة ترجى منه، ومن هنا أخذ العبث معناه وصفته.

والعبث هو الفعلُ الذي فيه غرضٌ لكنه ليس بشرعي، وما لا غرض فيه أصلاً يسمّى سُفهاً، وهو كلّ عملٍ ليس فيه غرضٌ صحيح (التهانوي،١٩٩٦: ١١٦٢)، وفي تعريف إيسلن للعبث يقول: هو "نوعٌ من الاختزال الفكري لنمطٍ معقّدٍ من التشابه في التناول، والتقليد، والطريقة، ومن الأسس الفنية والفلسفية المشتركة، سواء أكان إدراكها بوعي أو بلا وعي، ومن التأثيرات الناجمة عن رصيد مشتركٍ من التراث" (ايلسن،١٩٧٠: ٩).

ويعرّف لالاند العبث بأنه "سمة ما هو ممتنعٌ ومستحيل، أو هو فكرة أو خطابٌ بلا معنى" (لالاند،٢٠٠١: ١٥)، ومعنى العبث عند (حسن حماد) هو الشيء السخيف، النشاز، اللامعقول، المثير للضحك وللأسى معاً، كما يعني فقدان المعايير، واللاجدوى، وغياب المعنى(حسن حماد،٢٠٠٢: ٩) وهو انعدامُ التناسق، والخلو من الهدف، والانفصامُ عن الأصل، الأمر الذي يجعل الكلمة جوفاء، والتصرّف غير مبرّر(بيكيت،١٩٧٠: ٣٩٩).

وبناء على ما سبق يمكننا القول إنّ العبثيّة هي خطاب أو فكرة ما بعد حداثي، بلا معنى، أي تخرج من كونها خاضعة لمعايير تقليدية أو معقولة، فيمكن وصفها بأنها إدراك من دونٍ فهمٍ للسبب أو النتيجة، فهي صراع يقوم بين العالم اللاعقلاني وبين رغبة الإنسان ذات الصفة المضطربة.

ثانياً: نشأة العبثية:

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس

عندما ضجر الناسُ من فلسفة العقل والعاطفة، راحوا يفتشون عن مذاهب جديدة تلبّي طموحاتهم، بحيث تكون ذات فائدةٍ لهم، وفي الوقت نفسه ظهرت مدارس أخرى يمكننا أن نلمح عاملاً واحداً كامناً وراءها ويقوم بتوجيهها وهو اللاشعور(عز الدين اسماعيل،٢٠١٣: ٣٢)، فأخذت الأرواح تبتعد عن عالمها الخارجي، متوجهة إلى العالم الداخلي أي العالم الخاص بها، وشرعت بإطلاق العنان للاشعور وأفكاره الغريبة، إذ "يمكن تلمّس خيوط اتجاه اللاشعور في وقت تأسس المذهب (الدادي) على يد (تارا) في زيوخ عام ١٩١٦م، ذلك المذهب الذي انتقل إلى فرنسا بوساطة (فيليب سوبر)" (عز الدين اسماعيل،٢٠١٣: ٣٣)، والجدير بالذكر أنّ (تارا) يعدّ كاتباً فرنسياً من أصل روماني، بينما (سوبر) كاتب فرنسي.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

وقد كان السبب في كل هذه التغيرات هو الحربان العالميتان، لذلك فقد أخذ الإنسانُ يبحث عن منافذ أخرى نتيجة" الحربين العالميتين، والنتائج السلبيّة للثورة، التي تركت المثقفين من الناس في الغرب في شكّ إزاء الله، والتطور، والتقدم، والديموقراطية، ومع ذلك لم يكن الفردُ يعتمد عليه في يومٍ من الأيام اعتماداً كبيراً في تقدير المصائر أكثر مما كان في هذا القرن العشرين" (عز الدين اسماعيل،٢٠١٣: ٣٦)، فقد مالت الوجودية إلى الحرية الكاملة في التفكير، أي التفكير من دون قيود، وبتفرّدٍ تام، إذ إنها عدّت الإنسان صاحب مبدأ، وإرادة، وقرار، وحرية، وبناء عليه فقد عاشَ الإنسان حالة من القلق الوجودي نتيجة الأحداث التي تعرّض لها، "فالقلق إحساسٌ من الطبيعيّ أن يستشعره الوجودي ما دام لا يريدُ أن يستندَ في حياته وتصرفاته وأحكامه إلى إله أو قضاء وقدر، أو أي نوعٍ من أنواع الجبرية، أو ضربٍ من ضروب القيم الأخلاقية والاجتماعية، ويأبى إلا أن يعتبر نفسه حراً حرية مطلقة، ولما كانت هذه الحرية تستتبع المسؤولية عند الوجودي، لا بد أن يستشعر القلق من هذه المسؤولية" (محمد مندور،٢٠٠٨: ١٦٠)، الأمر الذي جعله يتعرّف على هذه الفلسفة (الوجودية) التي تفتقد إلى معنى الحياة، وبالأخص أنها ثارت على الوضع العام، ورسمت لنفسها مكانة مميّزة بين المذاهب الفلسفية الأخرى فقد كانت "آخر مذهبٍ أدبي طلع علينا من الغرب، وأحدث ضجة حوله في العالم كله، فهو مذهب اللامعقول، فمنذ أكثر من ربع قرن راجَ هذا المذهب في فرنسا، وسرعان ما لفت إليه أنظار المثقفين، بل إنّ بعض أدبائنا قد تأثروا في بعض إنتاجاته الأدبيّة" (عز الدين اسماعيل،٢٠١٣: ٣٧)، فقد كان يرتكز هذا المذهب على أساس السخريّة من الواقع المعيش، فضلاً عن عدم الوثوق به، وقد "حققت العبثيّة شهرتها في الخمسينيات من هذا القرن، إلا أنّ إرهاصاتها الأولى كانت ضاربة في ذلك بكثير" (شكري عبد الوهاب،٢٠٠٧: ٦٨٠).

ويوجد من ذكر أنّ العبثيّة قد قامت باستعارة تمثلاتها من تيارات مختلفة أخرى مثل السريالية والدادية، فالسريالية قامت على ما وراء الطبيعة، إذ إنها أحلّت التحرر والحياة عن العقل معتمدة على اللاوعي واللاشعور، أما الداداية فكانت ذا موقفٍ معدوم إذ إنها كسرت الفنون والجماليات كلها، وكلتاهما برزتا بعد الحرب العالمية الأولى، "وهكذا فإنّ الاتجاه العقلاني، والانحصار في عالم الظواهر، والقول بالتطوّر والواحدية اللاشخصية، وبناء النظم الفلسفية، هو ما يشكّل إلى حدّ كبير هيئة الفكر في خلال القرن التاسع عشر الميلادي في الحضارة الغربية" (عزت قرني،١٩٧٨: ٣٠)، فاللامعقول أو العبثية تعدّ سمةً خاصة بالمجتمع وليس بالأدب، إذ إنّ المرء يشعر بالضياع داخل

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

مجتمعه الأمر الذي يجعله يشعر بعدميّته في عالمه المتغيّر وغير القادر على تفسيره، لأنه يتزايدُ اغتراباً.

المبحث الثّاني: تشكلات العبث في الخطاب الشعري

إنّ للعبثيّة أشكالاً عديدةً مرّت في حياة الشاعر ابن الرومي، وتمثّلت في إنتاجه لأكثر من سلوكٍ حياتي، وذلك من أجل أن يعيد توازنه الشخصيّ، بعد أن شهدت نزعاته السلوكية صراعاً في ذاته ونفسه، وإنّ لوجود مثل هذه النزعات في شعره نوعُ من الصراع الذي يهدف إلى إعادة التوازن لذاته، وضبط شخصيّته شعورياً واجتماعياً، "وكان لابدّ لهذا الاضطراب أن ينعكسَ في شعره، أو أن يتركَ آثاره فيه، وأن يستجيبَ استجاباتٍ مختلفة للواقع الذي عاشه في مجتمعه"(اشقر،٢٠٠٥: ٣٤).

فقد يكون للاغتراب الذي يعيشه الشاعرُ في مجتمعه أثرٌ في نشوء العبثيّة، وربما كان للتكوينُ الفكري والنفسيّ دورٌ كبيرٌ في تحديد نوع السلوك العبثي الذي يمارسه الشاعر، إذا ما كنا مؤمنين بأنّ الشاعر العبثي هو فرد يعيش مغترباً في محيطه، إذ "تمرّ في الحياةِ الإنسانية لحظاتٌ يشعرُ فيها الإنسان بالفجوةِ الفاصلةِ بينه وبين العالم، الوجود كلّ الوجود، يُظهر الوجود أثناءها بكلّ عرائه، فراغَه من محمولاته"(الزايد،١٩٧٥: ٥٥- ٥٦).

ومن أجل قهرِ عوامل اغتراب الشاعر تنبثق العبثيّة عنده لتكونَ وسيلته ليتخلّص من همومه، وشعوره بالانكسار، وتغيّر الأحوال، فهو "يتقاسمُ إحساس ضآلته في هذا الكون الفسيح، في الوقت نفسه الذي يشعر بأهمية دوره في هذا الكون نفسه، ولا يملكُ في الحالين سوى فاعليته ووعيه اللذين يحملانه على تدبير أمر نفسه، والتماس طريق مأمونة في شعاب عالمٍ لا يكترث به" (قنصوه،١٩٨٧: ٣)، يقول:

إلى الله أشكو سخـــــفَ دهري فإنه يُعاتبني مذ كنت غيرَ مُطايبِ

أبى أن يُغيث الأرضَ حتى إذا ارتمت برحلي أتاها بالغيوثِ السواكبِ

(ابن العباس،٢٠٠٣: ١٧٤)

في النص نجدُ طرحاً غريباً يعدّ تمرداً على واقعيّة الكون، فهو يطلب الموت، الموت الذي يعدّه حياتاً من منظوره، هنا يتجسّدُ المعقول بالخيالي واللامعقول للوصول إلى صيغةٍ معبّرةٍ عن

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

مفهوم العبث، وعدم محدودية المعنى، فضلاً عن الحريةِ المطلقة، فهو مبصرٌ لعدوّه وهو الزمن لكنّه غير آبه به، لأنّ الضياع، والتشتت، واللامعنى الذي يعانيه دفع به إلى عدم التفريق بين الأمور المترابطة، لينسف بذلك أطر الرؤى التقليدية، ويتخلى عن القيم التقليدية السائدة، ليصبحَ كلامه محمّلاً بشحنات من الصدمة والسخرية والدهشة التي تتولد عند المتلقي، لتتشظى المعاني والدلالات التي تتناقض بجدلية غير نهائية، فتضع المتلقي في صراع للبحث عن المعنى من دون جدوى، فابن الرومي مقتنعٌ بشكلٍ تام بسوء طالعه.

يقول:

ألا ليـــست الدنيا بـــــدارِ فلاحِ بعينيكَ صرعاها مساءَ صباحِ

لنا من كلا العصرينِ ساقٍ كلاهما يدورُ فيســـــقينا بكأسِ ذُباحِ

(ابن العباس،٢٠٠٣: ٣٤٠)

يمثّلُ النص السابق التفاتاً في بنية الخطاب، وبشكلٍ خاص خطابه إلى الذات، الذي يجسّدُ حواراً داخلياً يشي بعمق الأحاسيس المتضاربة، والمشاعر المضطرمة، والأفكار الغامضة، التي تتصارعُ داخلياً، الأمر الذي يدفعها إلى اللجوء إلى وسيلةٍ فنيةٍ تسهم في تجسيدها، لتجمع شتات محتواها، وتؤكّد ترابطه وتماسكه، فأساس هذا الحوار هو تمثيلٌ لتقابل وتلاحم أجزاء الذات الشاعرة المنقسمة، فالشاعرُ "يتحاورُ مع داخلهِ، فشعره ذاته في معاناتها، وحتى لو توجّه ظاهرياً إلى الخارج ومخاطبة الآخر، فهذه المخاطبة تكون متجاوزة دلالاتها النحوية، لتتحوّل إلى ما يشبه تجسيداً لانشطار الذات إلى ذاتين"(رجاء عيد،١٩٩٥: ١٧٣)، وهو ما يجسّدُ أبعاد التمزّق النفسي، والخلخلة الشعورية، والاضطراب الوجداني في أعماق الذات المكلومة بالفقد.

ويبدو أنّ عبثيّة ابن الرومي هي شعور بالمفارقة فيما كان عليه، وفيما صار وأصبح فيه، فهذه المفارقة قادته إلى عبثيّة، وعدم التزام، فكانَ الرفض "أولانية ذاتية لفعل الوعي المبدع، لذلك هو لا انتماء عقلي بحكم تكوينه الأساسي"(الزايد،١٩٧٥: ١٣٣)، فإنّ الإنسان يسقط في العبثيّة عند يضيّع ارتباطه بأصله، لأنّ الحيوية تغيب من وجدانه، إذ يعمد ابن الرومي إلى التوحيد بين الصور جميعها، والمتناقضات كلها، ليصل إلى طورٍ من التجريدِ الكلي، يقول عند ظهور الشيب في رأسه مُبكّراً:

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

لعمركَ ما الحياةُ لكلّ حيٍّ إذا فقد الشباب سوى عذابِ

فقل لبناتِ دهري فلتصبني إذا ولّى بأسهـــمها الصيابِ

سقى عهدَ الشبيبةِ كلُّ غيثٍ أغرَّ مجلجلٍ صـافي الرَّباب

(ابن العباس،٢٠٠٣: ٢٥٦)

فقد كان ابن الرومي يحسُّ بأنّ الشيبَ بمنزلةِ الموت، مما دفعه إلى الاكتئاب والإحباط، يقول:

"إنّ الشباب لـمألوفٌ لصحبتهِ تلك القديـــمة مَبـــكيٌّ إذا ذهبا

والشيبُ مُستوحشٌ منه لغربته والشيء مستوحشٌ منه إذا اغتربا"

(ابن العباس،٢٠٠٣: ٢٣٣)

فقد أفصح ابن الرومي عن خصوصيّة مكانة الشباب وصحبته، وتفرّده في وجدانه، الأمر الذي أسهم في تهيئة المتلقي وجدانياً وذهنياً لاستيعاب معنى جوهري في صميم التجربة الإنسانية، فابن الرومي يرغب في الاهتمام بالشباب، وتثبيته في وجدانه ووجدان المتلقي.

يقول:

"يا شبابي وأين منـــي شبابي آذنتني حِبالُه بانقـــــضابِ

دولةٌ يغـــمرُ الزمـــانُ فتاها سوَّمَتْ بالسوادِ سيما الشبابِ

لهف نفسي على نعيمي ولهوي تحت أفنـــــانهِ اللِّدانِ الرِّطابِ"

(ابن العباس،٢٠٠٣: ٢٣٥)

يبدأ ابن الرومي في أبياته بأسلوبي النداء والاستفهام اللذين انزاحا عن الدلالة الأصلية، فيشكلان وسيلته للدخول إلى عالمه النفسي، ويفضيا بمشاعر الأسى والحسرة، وهذان الأسلوبان يقومان بدور حيوي في الكشف عن الأبعاد الغامضة والعميقة للتجربة الشعرية، فهي "أوفر أساليب

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الكلام معنى، وأوسعها تصرّفاً، وأكثرها في مواقف الانفعال وروداً، لذا ترى أساليبه تتوالى في مواطن التأثير وتهييج الشعور للاستمالة والإقناع"(الكوفحي،٢٠١١: ١٥٦).

فالبنية التي سادت في هذه الأبيات الشعرية هي بنية هجينة، حاول فيها الشاعر المزج بين العقلي واللاعقلي، بين الذات الإنسانية برغباتها كلها، وبين ما يناقضها في المقابل، الذي فرضَ على المتلقي إحساساً بواقعه العبثي اللامعقول، لأنّ خطاب الشاعر لا يعبّر عن معنى الحياة، بل يعبّر عن المواجهة، والشعور بصدمة الواقع، وعليه فقد أطاح بكل ما هو معقول وواضح بوصفه قيمة عليا، واستعاض عنه بشيء هجيني ينسجمُ مع طبيعة مجتمعه، وكان كل هذا بسبب محاصرة الذات الإنسانية بكمّ كبير من التساؤلات الوجودية (أين مني شبابي؟)، التي لا تمنحه سوى القلق، الأمر الذي دفعه إلى هذه البنية الهجينة لتكون خير متنفَّسٍ لمكبوتاته، وتكون آليته لتخطي الواقع، والعقل، والمنطق، والمكان، والزمان.

حتى أنّ تشاؤمه وصل به إلى أن أقعده عن طلبِ رزقه، وصارَ يعيشُ في هذه الدنيا زاهداً غير مبالٍ، يقول:

"أذاقتني الأسفارُ ما كرّه الغنى إليّ ... وأغراني برفـــــضِ المطالبِ

فأصبـــحتُ في الإثراء أزهدَ زاهدٍ ... وإن كنت في الإثراء أرغب راغبِ

حريصاً جباناً أشتـــهي ثمّ أنتهي ... بلحظي حَباب العيش لحظَ المراقبِ

ومن راحَ ذا فقرٍ وجـــــبنٍ فإنه ... فقيرٌ أتاه الفـــــقرُ من كلّ جانبِ

ومن نكبةٍ لاقيتها بعد نكبةٍ رهبـــ ... ـتُ اعتسافَ الأرضِ ذات المناكبِ"

(ابن العباس،٢٠٠٣: ٢١٣)

فمن خلال تجاربه السابقة في السفر، وما لاقاه فيه من مشقّةٍ وعناء من أجل كسبِ رزقه فقد كرهه، وصار زاهداً بسبب خوفه من المجهول، وهنا يتبدّى الصراع، فهو يريد تحصيلَ الثراء من دون مشقة ولا عناء، لكنّ الخوف مسيطرٌ عليه، ويعدّ هذا التصرّف فعلاً قهرياً لدى الشاعر، فهو يجدُ صعوبةً في اتخاذ القرار، يستبدّ به الوهم، ويسيطر الشك عليه، محاولاً الخروج من ذلك باستطلاعه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

للغيب، فكل تصرفاته توحي بالعبثية والتشتت، وفي هذا قيل عنه: "إنه كان يعيشُ في أسطورة الرعب التي تغشى النفسَ بالقنوط والعتمة والفناء"(الحاوي،١٩٥٩: ١٦٨)، وكان أكثر ما يخافه في السفر هو الماء، "فاشتدّ خوفه من الماء لا يركبه ولو أدقعَ، ودعاه إلى ركوبه من يمنونه الإرفاد وحسن الضيافة، وصوّر ما يعتريه من خوف الماء تصويراً لا يدلّ إلا على حالةٍ مرضيّة"(العقاد،١٩٦٣: ١٣٣)، يقول:

"فلم ألقَ فيهِ مســـــتراحاً لمتعبٍ ولا نُزُلاً أيّـــــــان ذاك لساغبِ

فما زلتُ في خوفٍ وجوعٍ ووحشةٍ ومن سهرٍ يستغرقُ الليلَ واصبِ"

(ابن العباس،٢٠٠٣: ٢١٥)

برزت عبثيّة الشاعر هنا من خلال فلسفةٍ جديدةٍ تدعو لانفتاح المعنى، والغرابةِ، لأنّ النصّ يحمل سمة الانفلات والتحرر، والنظر أبعد ما تراه العين، فجوهر الذات الإنسانية يكمنُ في الأرواح.

كما أنّ ابن الرومي يقوم بترجمة حقيقة الروح الإنسانية، بوصف وجودها على هذه الأرض، وصلتها بالجسد أنها أنين دائم، ومردّ هذا الأنين هو انتظار وتوقّع الأسوأ دائماً، وهو الموت، يقول:

"وجرّبتُ حتى ما أرى الدهرَ مغرياً عليَّ بشيءٍ لم يقع في تجاربي

أرى المرءَ مذ يلقى الترابَ بوجهه إلى أن يُوارى فيه رهن النوائبِ

ولو لم يُصَب إلا بـــشرخ شبابِه لكانَ قد استوفى جميعَ المصائبِ"

(ابن العباس،٢٠٠٣: ٢١٧)

هذا التشاؤم كله وليد ظروف الشاعر المحيطة، التي دفعت به إلى هذه العبثيّة كلها في التفكير.

الرومي يشكو، ويدعو المتلقي إلى التأمل بدلاً من الوعي، إنّ ما وصلَ إليه في حياته تشكل أسئلة وجودية كبرى يعيشها البشر جميعهم.

والأمر الملفت للنظر أنّ ابن الرومي في اغترابه لا يكتفي بذكر أعماله العبثية فحسب، بل يدعو الآخر لممارستها، واغتنام فرصة وجودهم في هذه الحياة قبل فنائهم وموتهم، وإنّ لمثل هذه الدعوة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

مدلولاتها النفسية والاجتماعية، لأنّ الرومي يحاول أن يخرج من دائرة فرديته وعزلته، ليندمج مع المجتمع (الآخر) بغية تحقيق التواصل معه، وذلك لأنّ "الوعي الذاتي يقتضي الشعور بالآخرين، فهو اجتماعي في أعمق أعماق طبيعته الميتافيزيقية، ومادامت حياة الإنسان تعبيراً عن الأنا فإنها تفترض وجود الآخرين"(بردیائیف،١٩٨٦: ٩١)، من أجل إبعاد الغربة، وتحقيق قليلٍ من الرضا الذاتي، والتوصل مع الذات إلى مشروعية وصواب هذه العبثيّة، فبتحوّل الفعل والسلوك من فعلٍ فردي إلى جماعي أي حين مشاركة الآخر له، هذا يعني أنه صار قيمة يؤمن بها المجتمع بمنزلة ظاهرةٍ اجتماعية أقرّها. يقول:

"لا تلمني فالــهوى فيــ ـــهِ جِماحٌ وطِماحُ

كلّ شيءٍ غُلِبَ الصّبــ ـرُ إليـــــه فمُباحُ

إنما الـــــــدنيا مَلاهٍ واغتباقٌ واصــطباحُ"

(الحاوي،١٩٥٩: ٥٤٩)

أتاح خيال الشاعرِ الانفلات من سطوة العقل، ليشكّل بنائيّة فنية تحملُ التشظي، والتفكيك، وغياب المركز، من أجل أن يعبّر عن مفاهيم الفوضى، والعدميّة، واللاوعي، مستخدماً أسلوب التمرّد، وتشظي المراكز الدلالية كلها، ليكون شعره بمثابة عامل تغيير جذري يسهم في تبديل وتطوير هذا الواقع، بحيث ينعكس بشكلٍ مباشر على المتغيرات كلها التي تتدخل في العناصر الأساسية للوجود، الأمر الذي يضفي على شعره صفةً تجعله من أشد عناصر قوى التغيير والتقدم بعامة.

الخاتمة:

التعبيرُ عن العبثِ سواء في الفنّ أو الفلسفةِ أو الأدب قائمٌ على مفارقةِ وصفِ عالم اللاجدوى، واللامعنى، والعدم، واللامعقول عبر وسائل وأدوات لا تنتمي إلى العالم العبثي، أي بوساطة العقلِ، واللغة، والتفكير، والوجود، ومفردات الواقع، والإنسان لا يمكنه أن يعيش دائماً في العبث، لأنه أمر لا يطاق، فقد يستشعره الإنسانُ في لحظاتٍ معيّنة، ويواجهه في أخرى، بوصفه واحداً من أبعاد الوجود الإنساني، لكنه ومع كل هذا يحاول الهروب منه بأي وسيلة ممكنة، لأنه يخلق عالماً لا إنساني، خالياً من الخير، والحقيقة، والقيم.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

النتائج:

- كان خيال الشّاعر محركاً من محركات العبث إذ إنّه لعب دور في انفلات العقل واتجاهه نحو التشظي والتفكيك في التّعبير عن عبثيّة تفكير الشّاعر.
- لقد كان ابن الرومي عبثياً وهو لم يكتف بذكر أعماله العبثية فحسب، بل يدعو الآخر لممارستها، واغتنام فرصة وجودهم في هذه الحياة قبل فنائهم وموتهم.
- اتخذ ابن الرومي من فترة الشباب وما تحمله من قدرات، فهي فترة ذهبيّة للهو والعبث، وهي الفترة التي تعكس قوّة الشّاعر ومتانته.
- تشكل عبثيّة ابن الرومي تصوراً حول شعوره بالمفارقة فيما كان عليه، وفيما صار وأصبح فيه، فهذه المفارقة قادته إلى عبثيّة تجسدت واضحة في شعره.

- المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١- ابن العباس ،أبو الحسن علي ،ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصّار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٢- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.

٤- أشقر، محمد عبد القادر ،المؤثرات البيئية والشخصية في شعر ابن الرومي، مجلة التراث العربي، سوريا، مجلد ٢٥، عدد ٩٩-١٠٠، ٢٠٠٥م.

٥- إيسلن، مارتن ،مقدمة كتاب دراما اللامعقول، ترجمة: صدقي عبد الله حطاب، سلسلة المسرح العالمي، الكويت، أغسطس، ١٩٧٠م.

٦- برديائيف، نيقولاي ،العزلة والمجتمع، ترجمة: فؤاد كامل وعلي أدهم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦م.

٧- البنهاوي، نادية بذور العبث في التراجيديا الإغريقية وأثرها على مسرح العبث المعاصر في الغرب وفي مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٨- بيكيت، صموئيل ،مسرح العبث في انتظار جودو، ترجمة: فايز إسكندر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م.

٩- التهانوي، محمد علي ،موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ترجمة: جورج زيداني، إشراف ومراجعة: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

١٠- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، ١٩٨٢م.
١١- الحاوي ،إيليا سليم ، ابن الرومي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٩م.
١٢- حسن حماد، مفهوم العبث بين الفلسفة والفن، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
١٣- حسيبة، مصطفى ، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.
١٤- الخطيب ، البغدادي ،تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
١٥- رجاء عيد، القصيدة الجديدة بين التجديد والتجدد، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مجلد ١٥، عدد ٢، ١٩٩٥م.
١٦- الزايد ،محمد ، المعنى والعدم (بحث في فلسفة المعنى)، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.
١٧- شكري عبد الوهاب، تاريخ وتطور العمارة المسرحية، الإسكندرية، ٢٠٠٧م.
١٨- عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٣م.
١٩- العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، المكتبة التجارية الكبرى، ط٥، ١٩٦٣م.
٢٠- الفراهيدي ،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دت.
٢١- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ،القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، لبنان، ط٨، ٢٠٠٥م.
٢٢- قرني، عزت ،الفلسفة المعاصرة في أوروبا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ١٩٧٨م.
٢٣- قنصوه، صلاح ،نظرية القيمة في الفكر المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.
٢٤- الكوفحي، يوسف ،اللغة الإبداعية: دراسة أسلوبية، مكتبة عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط١، ٢٠١١م.
٢٥- لالاند، أندريه ،موسوعة لالاند، تعريب خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت– باريس، ط٢، ٢٠٠١م.
٢٦- محمد عبد الغني حسن، ابن الرومي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م.
٢٧- محمد مندور، الأدب ومذاهبه، دار نهضة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

Sources and References

* The Holy Qur'an.

1. Ahmad Mukhtar Abd al-Hamid Umar, Dictionary of Contemporary Arabic Language, Alam al-Kutub, 1st ed., 2008.

2. Al-Aqqad, Ibn al-Rumi: His Life through His Poetry, al-Maktaba al-Tijariyya al-Kubra, 5th ed., 1963.
3. Al-Banhawi, Nadia, The Seeds of Absurdity in Greek Tragedy and Their Impact on Contemporary Theatre of the Absurd in the West and Egypt, Egyptian General Book Organization, 1998.
4. Al-Farahidi, Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr ibn Tamim al-Basri, Kitab al-ʻAyn, edited by Mahdi al-Makhzumi and Ibrahim al-Samarrai, Dar wa Maktabat al-Hilal, n.d.
5. Al-Fayruzabadi, Majd al-Din Abu Tahir Muhammad ibn Yaʻqub, Al-Qamus al-Muhit, edited by the Heritage Verification Office at Al-Resala Foundation, supervised by Muhammad Naʻim al-Arqasusi, Beirut, Lebanon, 8th ed., 2005.
6. Al-Hawi, Elia Salim, Ibn al-Rumi, Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut, 1959.
7. Al-Khatib al-Baghdadi, History of Baghdad, edited by Bashar Awwad Maʻruf, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1st ed., 2002.
8. Al-Kufahi, Yusuf, Creative Language: A Stylistic Study, Modern World of Books Library, Jordan, 1st ed., 2011.
9. Al-Tahanawi, Muhammad Ali, Encyclopedia of the Classification of Arts and Sciences Terminology, translated by جورج زيداني (George Zaidani), supervised and reviewed by Rafiq al-Ajam, Maktabat Lubnan Nashirun, Beirut, 1st ed., 1996.
10. Al-Zayed, Muhammad, Meaning and Nothingness: A Study in the Philosophy of Meaning, Oweidat Publications, Beirut, 1st ed., 1975.
11. Ashqar, Muhammad Abd al-Qadir, "Environmental and Personal Influences in the Poetry of Ibn al-Rumi," Arab Heritage Journal, Syria, Vol. 25, Issues 99–100, 2005.
12. Beckett, Samuel, Waiting for Godot: Theatre of the Absurd, translated by Fayiz Iskandar, Egyptian General Organization for Authorship and Publishing, Cairo, 1970.
13. Berdyaev, Nikolai, Solitude and Society, translated by Fuad Kamil and Ali Adham, General Cultural Affairs House, Baghdad, 2nd ed., 1986.
14. Esslin, Martin, Introduction to The Theatre of the Absurd, translated by Sidqi Abdullah Hattab, World Theatre Series, Kuwait, August 1970.
15. Hasiba, Mustafa, The Philosophical Dictionary, Dar Osama for Publishing and Distribution, Jordan, 1st ed., 2009.
16. Hassan Hammad, The Concept of Absurdity between Philosophy and Art, Dar al-Kalima Library, Cairo, 2002.
17. Ibn al-Abbas, Abu al-Hasan Ali, Diwan of Ibn al-Rumi, edited by حسين نصّار (Husayn Nassar), National Library and Archives, Cairo, 2003.
18. Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram ibn Ali, Abu al-Fadl al-Ansari al-Ruwayfiʻi al-Ifriqi, Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, 3rd ed., 1414 AH.
19. Jamil Saliba, The Philosophical Dictionary, Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut, n.d., 1982.
20. Lalande, André, Lalande Encyclopedia, Arabized by Khalil Ahmad Khalil, supervised by Ahmad Oweidat, Oweidat Publications, Beirut–Paris, 2nd ed., 2001.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

21. Muhammad Abd al-Ghani Hasan, Ibn al-Rumi, Dar al-Ma‘arif, Egypt, 1960.
22. Muhammad Mandur, Literature and Its Schools, Dar Nahda, Cairo, 2008.
23. Qansuwa, Salah, Theory of Value in Contemporary Thought, Dar al-Thaqafa for Publishing and Distribution, Cairo, 1987.
24. Qarni, Izzat, Contemporary Philosophy in Europe, National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait, 1978.
25. Raja Eid, “The New Poem between Renewal and Innovation,” Fusul Journal, Egyptian General Book Organization, Cairo, Vol. 15, No. 2, 1995.
26. Shukri Abd al-Wahhab, History and Development of Theatre Architecture, Alexandria, 2007.
27. Izz al-Din Ismail, Literature and Its Arts: Study and Criticism, Dar al-Fikr al-Arabi, Cairo, 2013.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية